(1-2)

الدكتور حمود العودي لـ" الثورة ":

تعدُّد الكيانات المناطقية تعبيرات مصغرة لقضية الوطن الكبرى

كانت المدينة تعيش فراغاً صباحيا ، فيوم الثلاثاء الماضي كان هو عيد العمال.. اجتزت الشوارع بسرعة صوب حدة.. الخطى تتسارع بانسيابٍ نحو ضيفنا المُحَاوَر.. كانت عقارب الوقت قد تجاوزت التاسعة صباحاً ، ورغم الفراغ ومشهد الجزر الوسطية ، إلا أن صور الجماد الأسمنتي والإسفلتي كانت قاتلة على عادتها.. هذا شوّش الخاطر كعادته وحمل الذاكرة على تحسس مكامنٍ جراح المدينة كما هو الحال منذ سنوات، وكركب الأسئلة المعدة سلفاً على قائمة بياض متهالك تأبطها كثيراً، كما جعلني هذا الجو ألوذ ظماً باسترجاع مشاهد الريف اليمني الفاتن الذي ينسيك نزغ السياسة وقهر المدينة المادي.. قاربت على الوصول مع تكرار التواصل مع ضيفي الذي ينتظرني أيضاً كضيفٍ قادم إليه وكما هي عادة كل يمني.. حدد المنزل بدقة.. وما أن فتح - المفكر الاجتماعي والناشط المدني والمثقف اليمني الدكتور حمود العودي - باب فناء بيته إلا وفاحت رائحة الأرض والبن ، استقبلني بحرارة وود غير عاديين.. وما أن لمحت ، من مجلس البيت الرئيسي المفتوحة إحدى جوانبه الزجاجية على مشتل رغم صغره إلا أنه أختزل الحقل الريفي بأسره.. أشجار متنوعة لكن مجموعة من غرس البُن اليمني الأصيل وعليها حبوب بن «أحمر كالعقيق حتى تذكرت الشاعر اليمني الكبير مطهر الارياني وترجيع الآنسي «يا حارس البن بشرى/موسم البن داني /ما للعصافير سكرى/ بين خضر الجنانِ/ هل ذاقت الكأس الأول من رحيق المجاني... » ردد معي وبذاكرة ملمة ومحبة لهذا الرائعة الفنية المغرقة في الأصالة اليمنية.. ليضيف صفتين جديدتين لصفاته الكثيرة وهي الأدب والفن.. تبادلنا أطراف الحديث حول الأحوال وشجون الأمكنة والمدرجات في العود وريمة وحقول إب وغيرها.. لكن سرعان ما دخلنا في تفاصيل حوار مغاير هذه المرة فهو سياسي اجتماعي خرج عن حدود العاصمة إلى الأطراف طارحاً كل القضايا المجتمعية والسياسية والتنموية التي تداخلت مع كل ما هو مُسيّس في البلد لتشغل المجتمع على كل جزءٍ من خارطة الوطن.. أسئلة كثيرة لكن البداية كانت من المشهد الراهن للبلاد.... إلى تفاصيل الحلقة الأولى من الحوار..

حاوره: محمد محمد إبراهيم

■ **لنبدأ معكم دكتور حمود العودي من راهن الحالة اليمنية.. ماهي قراءتكم العامة غير التفصيلية لآخر مجريات المشهد اليمني السياسي؟**

– أستطيع القول رداً على سؤالك في الحوار، إن ما يجري في الساحة اليمنية، ما هو إلا نموذج أو جزء لا يتجزأ مما يدور في ساحة الأمة العربية، هذا المخاض وهذه الثورة التاريخية العظيمة التي قلبت كل الموازين لتصنع حدثاً تاريخياً يعيد لهذه الأمة ما كان قد يعتقد بأنه قد انتهى واختفى إلى الأبد، وبالتالي الراهن اليمني صورة مصغرة للمشهد العربي العام، بفارق ما تميزت به الحالة اليمنية عما جرى في تونس وليبيا ومصر، وما يجري في سوريا.

الآن، حيث تميزت حتمية التغيير في الحالة اليمنية، بميزتين أو خاصتين، الأولى تتمثل في أسبقية الثورة والعمل المدني السلمي في اليمن، فقد بدأ منذ ثلاث سنوات في المحافظات الجنوبية، عندما خرج الناس وظلوا يتحركون من كل الاتجاهات بحثاً عن دولة النظام والقانون، والحقوق المصادرة، بحثاً عن الشراكة الحقيقية في السلطة والثروة إلى غير ذلك، هذه أسبقية يجب أن نذكرها كسمة من سمات المشهد الوطني العام في اليمن .. أما الخاصية الثانية التي ربما أدهشت العالم واليمنيون أنفسهم وشكلت متغيراً غير متوقع هو صبر اليمنيين .. فدائماً ما وصف اليمنيون بأنهم قليلو الصبر، سريعو الانفعال شديدو النزق وربما بما هو أكثر من ذلك كأنهم مجرد ناس همج، قبائل مسلحين يمتلكون أربعة أو خمسة أضعاف عددهم من الأسلحة في كل بيت، في كل مكان .. وبالتالي فهم خارج التاريخ وخارج أي إمكانية للتحول الإيجابي.

■ **صحيح يقال اليمنيون في العصور الوسطى، دكتور حمود؟**

– يقاطع السؤال– العصور الوسطى هي فترة حضارة العرب والمسلمين في أوج ازدهارها وظلام أوروبا وهذه من المفاهيم المغلوطة، أقول عصور ما قبل التاريخ .. ما يعني أن هذا المشهد فاجأ العالم باتزان اليمنيين وسعة صدورهم، وإن شعباً من ٥٢ مليون نسمة يدير نفسه على مدى عام كامل دون أن يهتك عرض بجريمة شخصية أو جريمة جنائية، ربما جرائم سياسية، وعنف وقتل، لكن ليس بمنظور الجريمة المدنية ولم يستغل الوضع لتصفية الحسابات الشخصية بين المجتمع، بل ظلت الحياة تدور في تماسك وإن كان هناك منغصات ما.

■ **مقاطعاً .. هذا بالنسبة للساحات الشبابية والحياة اليومية للشعب اليمني .. ماذا عن أجهزة الدولة والقوى السياسية المتصارعة؟**

– آلية الدولة وأجهزتها أو بالأحرى ما تبقى منها في هذه الفترة وأجهزة السلطة وأطراف الصراع السياسي، كانوا يؤملون على تصعيد المواجهات والعنف والكراهية والحقد وبث المنازعات والثأرات بل مارسوا العنف وحاولوا أن يجروا المجتمع إلى العنف.

الحراك الوحدوي الوطني

■ **أشرتم إلى أن العمل الثوري السلمي بدأ في المحافظات الجنوبية قبل ثلاث سنوات .. لكن المشهد عكس أحداثاً من الاحتراب والمواجهات والضحايا .. كيف لنا تفنيد هذا من مسار العمل السلمي؟**

– أنا كمواطن يمني وقريب من الأحداث بل قريب من المنطقة فليس بيننا وبين الضالع وبين ردفان إلا داعي الصوت .. أستطيع أقول أن الحراك الوحدوي الوطني في المحافظات الجنوبية من الوطن هو بدأ سلمياً ولا يزال، ولكن الراغبين في تشويه صورته السلمية والوطنية إلى قاتمة بوصفهم قطاع طرق انفصاليين قتلة، مُلغمين، مخربين، ونحن مخربون، حسب وصمة النظام من ثلاثين سنة .. هذه الأبعاد والخلفيات هي التي صنعت العنف نفسه، وكانت هي التي تنظمه وتفجره، ولا يخفى على أحد التقريرات التي لا أقول أنها مؤكدة ولكنها في درجة اليقين أن من صنع القاعدة ومن صنع أعمال العنف في جنوب الوطن أو شماله أو وسطه أو في أي مكان هي مصادر من خارج الحراك الوطني الجنوبي نفسه، بأجندة إما سياسية من قبل السلطة وأجهزتها الأمنية أو القوى التي خسرت منافعها لما قبل الثورة وما قبل الاستقلال وبدأت تبحث عن أجندات السلطنات والإمارات وحتى المندوب السامي البريطاني هؤلاء ركبوا الموجة، وكل واحد يدعي أن ما يجري من أحداث هي ثورته، وبالتالي هؤلاء خلطوا الأوراق ولا يمكن أن نقول مطلقاً بأن أعمال العنف هي صناعة المجتمع المدني أو الشباب، فالشباب والمجتمع المدني ظل يطالب بحقوقه وفق النظام والقانون حتى اللحظة.

إنجاز يمني

■ **بين سلمية الشباب واحتراب القوى السياسية المتصارعة ثمة معطى إنجازي يمني يتمثل في الوفاق السياسي الذي ظل هو المانع من وصول الحالة اليمنية إلى نقطة اللاعودة كيف ترون إلى التوافقية في ضوء ما يجري على الساحة اليمنية؟**

– أنا معك ومع من يرى أن التوافقية إنجاز للقوى المتصارعة ونتمنى أن يكونوا صادقين في ما اتفقوا عليه لكن أخي العزيز والقارئ الكريم، أطراف الصراع السياسي من مرحلة ما بعد التحرير وفترة التشطير وحتى قيام الوحدة وحتى الآن كانت تتعامل وتسير بأجندة تختلف عن أجندة المواطن اليمني هي أجندة قائمة على ثقافة يا تأكلني يا أكلك، يا تدخلني جيبك يا أدخلك جيبي، يا قاتل يا مقتول.

■ عجز القوى السياسية في خيارات القوة دفعها للتوافق لتدار بالمكر السياسي

■ صبر اليمنيين فاجأ العالم الذي كان يعرفهم بالقبائل المسلحة

■ حرب صيف٩٤ م، تعني صراع الجميع على السلطة، وليس دفاعاً عن الوحدة

■ أعمال العنف التي رافقت العمل الثوري السلمي ليست صنيعة المجتمع المدني، بل نتاج السلطة وأجهزتها والقوى المتصارعة ومن خسروا منافعهم

■ اتخذ من الديمقراطية كلمة حق يراد بها باطل لشرعنة وجود القوى السياسية المتصارعة في السلطة وفي مواقعها

فصراعات التشطير ظلت على مدى ربع قرن عاجزة أن تنتصر لطرف ما لكي يتمكن من إلغاء الآخر لأن الإلغاء في اليمن لا مكان له صحيح أن ثمة اقصاءات شابت تاريخ اليمن الجمهوري والوحدوي من فترة سياسية إلى فترة أخرى إلا أن المسألة سرعان ما تتحول، أما الإلغاء في اليمن فلا مكان له وهذه رؤية اجتماعية وليست سياسية حينما عجز الكل عن إلغاء الآخر بالقوة فكروا بآلية التوافق على أن نقبل بعض على الأقل من الناحية الشكلية وكانت اتفاقية الوحدة المباركة التي نعتز بها والتي عبرت عن ضمير الشعب اليمني كونها الحلقة التي التقت فيها الأطراف السياسية المتصارعة على طريقة مكره أخوك لا بطل. لأن أياً من النظامين لم يكن قادرا على أن يحمي نفسه أو يحافظ على نفسه أو يستقر دون أن يحسم معركته مع الآخر والقوى فشلت فلا مجال إلا استخدام السلم وجاءت الوحدة اليمنية فتفاءل اليمنيون جميعا بهذا الاتفاق الوحدوي السلمي وبالقدر الذي وجد الشعب نفسه وضميره في هذا الحدث التاريخي الهام رفع هذا التوافق اليمني إلى مكانة لم يكن يتوقعها أحد لكن الصراع السياسي والمصالح السياسية بدلا من أن تدار بالقوة أصبحت تدار بالمكر والخديعة السياسية فصار كل واحد من الأطراف يفكر في ابتلاع الآخر بالمكر السياسي نظرا لعجزه عن القوة العسكرية ولهذا جاء الاصطفاف بعد الوحدة من المؤتمر والإصلاح في الوقت الذي كان الإصلاح ضد الوحدة ويعتبرها من عمل الشيطان الرجيم ولم يكن في يوم من الأيام يتصور أن.

■ **مقاطعا الاسترسال: لماذا من عمل الشيطان؟**

– لأن النظرة كانت إلى جنوب الوطن بأنهم شياطين وأنهم لا دين لهم ولا ملة وهذه قضية معروفة والوحدة معهم بالتالي هي مغامرة وبالذات بالطريقة السلمية وهم كانوا يريدون حرباً.

■ **هل هذا يعني أن حرب صيف١٩٩٤ م هي صنيعة هذا الوضع الملغم بما أشرت إليه؟**

– سأصل إليها، فلماذا لجأنا إلى العنف، فالإصلاح بنزعته التقليدية حينها كان غير إصلاح اليوم وللأمانة إصلاح اليوم يشكل٩٠ ٪ من إصلاح الأمس فثمة تطور وتحسن كبيران في مقابل الاشتراكي الشريك الحقيقي في الوحدة وظل هذا الصراع يدور حتى جسدت مأساته بحرب صيف١٩٩٤ م عندما عجز أي طرف أن يبتلع الآخر سلمياً جاءت الحرب كعودة لمنطق القوة التي مارسها الجميع في هذه الحالة، سواء الذي أعلن الانفصال أو الذي فرض القوة باسم الوحدة.

صراع سلطوي

■ **كان لا مفر من هذا الفرض لكن عن ماذا يعبر ذلك؟**

– نعم.. بالتأكيد وهو يؤكد أن الكل يتصارع على السلطة وليس حماية الوحدة أو دفاعاً عن الشراكة الحقيقية في دولة الوحدة التي أرادها المجتمع اليمني بشطريه.

■ **البعض يرى أيضاً أن عدم تقبل المجتمع للتعددية والنهج الديموقراطي كان لغماً في الاتفاقية السلمية للوحدة مارأيكم في ذلك خصوصاً ،أنت كعالم اجتماع وناشط ومفكر؟**

– هذا غير صحيح لا يجوز لأحد أن يكذب على هذا الشعب أو يتهمه بمثل هذه التهم.

■ **لا نقصد المجتمع بقاعدته الجماهيرية التواقة للتعددية كوسيلة للتداول السلمي للسلطة إنما المقصود القوى التي تحرك المجتمع؟**

– ربما الأطراف السياسية هي الأطراف الأكثر ضعفاً والأكثر فشلاً في أن تقبل ممارسات الديموقراطية، لذا اتخذت من الديموقراطية كلمة حق يراد بها باطل إلى اليوم وذلك من قبل الأطراف السياسية التي تسعى لشرعنة وجودها في السلطة أو مراكزها المؤثرة أو إعطاء المبررات التي تعطيها الصورة المزيفة أمام الداخل والخارج لا أقل ولا أكثر أما الشعب اليمني بجماهيره كلها فهو مؤمن بالديموقراطية، واستبق حديثك قبل أن نصل إليه أن ما حدث في ١٢ فبراير الماضي هذه هي الديموقراطية وهذا هو الشعب عندما خرج سته ملايين ونصف المليون ناخب لا بالقوة ولا بالفلوس ولا بالخوف ليقولوا كلمة حق نحن نريد التغيير.

الكيانات الجغرافية

■ **دكتور حمود، يشهد الوطن بمختلف مناطقه شمالاً وجنوباً وسطاً شرقاً وغرباً كثيراً من التكتلات لوثتها القبيلة والسياسة والانتماء الجغرافي وفيما سبق أشرت ضمناً إلى ما وصمتم به من ثلاثين سنة بأنكم «مخربين» باشارة إلى المناطق الوسطى، من هذا المنطلق جاءت فكرة إنشاء ملتقى أبناء المناطق الوسطى وماهي منطلقات وجود هذا الكيان؟**

– فكرة التأسيس لأبناء المناطق الوسطى أو التحالف المدني لأبناء المناطق الوسطى في أكثر من كيان وأكثر من مخاض لبلورة موقف تجاه هذه المنطقة التي لحق بها ضرر كبير مادياً أو معنوياً فالمنطقة هي قضية وما دمنا في مرحلة التصالح الوطني العام فلا بد أن نطرح قضايا الناس جميعها بكل تأكيد ومنها قضايا المناطق الوسطى.

■ **مع تعدد هذه الكيانات والملفات العالقة في مختلف المناطق اليمنية ماهي رؤيتكم تجاه هذا التعدد ودلالته؟**

– يدل هذا التعدد بكل تأكيد أن أخطاء الفترة السياسية السابقة طالت كل المناطق اليمنية والملتقيات والمخاضات .. والتعبير عن الذات وطرح الناس لقضاياهم كأطراف متكافئة والبحث عن العدالة الانتقالية هو تعبير طيب لا ينبغي لأحد أن يخاف منه أو يخشاه على الاطلاق وهي ظاهرة صحية وتجسد الأطراف الوطنية المتكافئة تحت مظلة الوحدة وحتى ثورة المؤسسات التي كثيراً ما يخاف منها المتخالفون اليوم في السلطة.

تجزئة القضية الوطنية

■ **لكن البعض يرى في هذا تجزيئاً كبيراً للقضية الوطنية.. كقضية صعدة وقضية الجنوب وغيرها.. عن ماذا تعبر هذه المفاهيم؟**

– أنا أؤمن بقضية الوطن كله وإن ما يقال عن قضية المحافظات الجنوبية أو قضية صعدة أو قضية تهامة أو قضية المناطق الوسطى كلها هذه اختزلت في قضية عام ٢٠١١م بكل تبعاتها المريرة فهذه وحدت القضايا الجزئية في قضية اليمن العامة التي هي تعبيرٍ كلي عن تلك الجزئيات وليست تعبيراً عن تقرير مصير أو فك ارتباط أو عمل إمام هنا أو إعادة سلطان هناك هذا كلام غير مقبول وخارج التاريخ.

■ **بمعنى أن هذا نتاج وتحصيل حاصل للسياسة غير المسئولة؟**

– نعم نعم وتحديداً السياسة غير المسئولة.

■ **إلى أي مدى أضرت السياسة بالمجتمع من خلال هذه القضية؟**

– السياسة لعبت دوراً سلبياً كبيراً أو أقول تحديداً القيادة السياسية ومسألة الشخصنة المتمركزة في شخص واحد وإلغاء الكل، لعبت دوراً كبيراً في تدمير أشياء كثيرة ليس في غرس هذه المفاهيم والمشكلات التي نجني ثمارها الآن وإنما في تخريب الوجدان المجتمعي للإنسان اليمني وقيمه وأخلاقياته إلى اليوم وإلى ماقبل البارحة ليس بحساب الزمن التاريخي عندما يسمع عن شخص نزيه لا يرتشي لا يسرق لا يفسد يوصم بالهبالة بينما الانسان الذي يرتكب كل الموبقات والمفاسد والجرائم في المال العام وفي حق العام والخاص يوصف بأنه شاطر وطالب الله. وهكذا أفسدت المعاني، الصح هبالة، والخطأ شطارة ورجالة وهذا الخطر هو مايهدد المنظومة الفكرية والثقافية والعقلية للناس وفقاً لدلالات هذه المفاهيم فإذا كنت تبحث عن معاملة ما في مرفق ما ووجه لك مسئول ما بحسب النظام والقوانين فهذا ضياع لحقك ولكن لو قال بحسب الاتفاق بناء على التوجيهات والتوصيات العليا هنا ممكن تمر كل البلاوي للحق والباطل، فالخراب نال أشياء كثيرة.

ومع هذا أنا أقول بأن سنة الكون وسنة الحياة لا يمكن أن تنتهي إلى ما لا نهاية خصوصاً عندما يكون فيها اتجاه مضاد للتاريخ ولقوانين التطور ولذلك هذا التراكم الكبير لليمن وغير اليمن انقلب الى ثورة عارمة هي ما نشهده اليوم.

تصوير / ناجي السماوي